وافاكَ مِنّي ذا الكلامُ مُعَزِّياً ... بل راغباً في الصَّفحِ عن زلَّاتِهِ
قولٌ أتى عن عِلَّةٍ وفجيعةٍ ... فاقبَلْهُ مستوراً على عِلَّاتِهِ

من أبيات

وكان أمين الدولة سخياً، شجاعاً، [حكيماً][(١)] حليماً.

عَتيق بن علي بن داود[(٢)]

أبو بكر، الصِّقِلِّي، الزاهد، صنَّف كتاباً في الزهد سمَّاه «دليل القاصدين» في اثني عشر مجلداً، وكان سيداً فاضلاً ثقة.

محمد بن أحمد[(٣)]

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله، أبو الحسين، الهاشمي، خطيب جامع المنصور ببغداد، ولد سنة أربع وثمانين وثلاث مئة، وقرأ القرآن، وسمع الحديث الكثير، وشهد عند القضاة فقبلوا شهادته، وكان يلبس القلانس الطِّوال، وتسمى الدنيات، وتُوفِّي يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى، وصلَّى عليه النقيب أبو الفوارس في جامع المنصور، ودُفِنَ قريباً من بشر الحافي، وكان صالحاً صدوقاً ثقةً.

السنة الخامسة والستون وأربع مئة

في المُحرَّم قتلَ مسلم بن قريش أبا جابر بن صقلاب كاتِبَه خنقاً بين يديه وشروين الحاجب، ورمى بهما في بئر، وكان قد اطَّلع لهما على مكاتبات إلى السلطان في حقِّه، وأنه يقبض عليه، ويقيم شروين وشحنة من أصحاب السلطان مقامه؛ وأنه يجمع المال، ويطرد العرب عن العراق.

---

(١) مابين حاصرتين من (ب).

(٢) تحرَّف في (خ) اسمُ صاحب الترجمة من: عتيق، إلى: ميسور، وفي (ب) والنجوم الزاهرة ٥/ ٩٠ إلى: عيسون، والتصويب من تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٩٧ - والترجمة فيه - وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٩٤، وتاريخ الإسلام ١٠/ ٢٠٩.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٢٥٦، والمنتظم ١٦/ ١٤١-١٤٢.

وقيل: إنما كتب إلى السلطان بجهل مسلم وحُمقه، وفساد عقله، وسوء تدبيره، وإيحاشه العشيرة والحواشي وإبعادهم، ولمَّا قبض مسلم على أخيه إبراهيم واعتقله في قلعة سنجار، وأراد التوجُّه إلى باب السلطان، استحضر المستحفظ بإبراهيم ووصَّاه، فترك ابنُ صقلاب يدَه على فَخذِ مسلم، وقال للمستحفظ: إن جاءك رأس هذا الأمير فلا تُفرِجْ عن إبراهيم حتى تراني. ولمَّا انقضى المجلس دخل المستحفظ على مسلم وقال: أيها الأمير، قد سمعتَ ما قال فلان، فأيُّ شيءٍ ترسم أنت؟ فقال: هذا رجل أحمق جاهل لا تلتفِتْ إلى قوله، واحفظ إبراهيم إلى أن أعود من خراسان، فإن هلكتُ أو اعتُقِلتُ فالأمير بعدي إبراهيم، وأطلِقْه ولا تنتظِرْ به شيئاً.

وفيها كانت تَوبَةُ أبي الوفاء بن عقيل، وكان قد قرأ على ابن الفراء وبرع، وكان فيه ذكاء وحِدَّة وجرأة، فقصد ابن الوليد المعتزلي سرًّا، وقرأ عليه الكلام ومذهب الاعتزال ومذهب الأوائل، واعتلَّ، فأودع كتبه وقال: إن أنا مِتُّ فأحرِقوها بعدي. فوقف المُودع فرأى فيها تعظيمَ المعتزلة والترحُّم على الحلَّاج، وأشياءَ تخالف الدين، وأنه يجوز أن يكون لله ولد على وجه التحنُّن والتعطُّف والشفقة والتربية، وما أشبه ذلك، فحمل الكتب إلى ابن أبي موسى إمام الحنابلة، فطلبوه ليقتلوه، فهرب إلى الحريم الخليفتي، وشرع في استِسْلالِ سخائم الحنابلة، فاستتبَّ له ذلك واستتيب، وأخذ خطُّه، وأشهد عليه، وأقرَّ في الديوان بما كتبه على نفسه، وانصلحت الحال، ولم يحضر ابنُ أبي موسى الديوان لأجل التكبُّر عليه للأمر الذي جرى منه لأجل المواخير، وانصرف ابنُ عقيل من الديوان إلى ابن أبي موسى بدرب الدوابِّ فصالحه، وتقدَّم ابنُ أبي موسى إلى معالي الذي أودعه ابنُ عقيل كُتبَه بأن يُسلِّمها إليه، فسلَّمها إليه، فغسلها، وقيل: إنه لم يغسلها، وطهرت بعد موته، وكان الوزير ابنُ جَهير يتعصَّب له، ولولا ذلك لقُتِل، ونسخة ما كتب به خطه:

بسم الله الرحمن الرحيم، يقول علي بن عقيل بن محمد: إنَّني أبرأُ إلى الله من مذهب المبتدعة للاعتزال وغيره، ومن صحبة أربابه وتعظيم أصحابه، والترحُّم على أسلافهم، والتكثُّر بأخلاقهم، وما كُتِبَ علَّقتُه ووُجد بخطي من مذاهبهم وضلالاتهم،

فأنا بريءٌ منه، تائبٌ إلى الله تعالى ممَّا كتبتُه، وإنَّه لا يحِلُّ كتابتُه، ولا قراءتُه، ولا اعتقادُه، وإنني علقتُ مسألة الليل في جملة ذلك، وإن قوماً قالوا: هو أجسام سود، وقلت: الصحائح ما سمعته من الشيخ أبي علي ـ يعني ابن الوليد ـ وأنه قال: هو عدم، ولا يُسمَّى جسماً ولا شيئاً أصلاً، واعتقدتُ أنا ذلك، وأنا تائبٌ إلى الله تعالى منه، واعتقدتُ في الحلَّاج أنه من أهل الدين والزهد والكرامات، وصنَّفتُ في ذلك جزءاً نصرتُه فيه، وأنا تائبٌ إلى الله منه، وأنه قُتِلَ بإجماع فقهاء عصره، وأصابوا في ذلك، وأخطأ هو، ومع ذلك فإنني أستغفر الله تعالى منه وأتوب إليه من مخالطة المبتدعة ومكاثرتهم والتعظيم لهم؛ فإن ذلك كُلَّه حرام، ولا يحِلُّ لمسلم فِعْلُه؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ عظَّم صاحبَ بدعةٍ فقد أعان على هدمِ الإسلام»[(١)].

وقد كان الشريف أبو جعفر ومن معه من الشيوخ والأتباع سادتي وإخواني ـ حرسهم الله تعالى ـ مصيبين في الإنكار عليَّ لما شاهدوه في الكتب التي أبرأُ إلى الله منها وهي بخطي، وإنَّني مخطئٌ غيرُ مصيب، ومتى حفظ علي ما ينافي هذا الخط وهذا الإقرار فلإمام المسلمين مكافأتي على ذلك بما يوجبه الشرع من ردعٍ ونكالٍ وإبعادٍ وغيرِ ذلك، وأشهدتُ اللهَ تعالى وملائكته وأولو العلم على ذلك، غير مُجْبَر ولا مُكْرَه، وباطني وظاهري في ذلك سواء، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥] وكتب في يوم الأربعاء عاشر المُحرَّم سنة خمس وستين وأربع مئة[(٢)].

وفيها قُتِلَ السلطان ألب أرسلان، وأُقيم ولدُه ملك شاه مَقامَه، وكانت وفاته في ربيع الأول، واشتغل ولده بما طرأ عليه من الحوادث، فلما كان يوم الخميس ثامن رجب وردت كتبه إلى الخليفة في إقامة الخطبة له، فأُقيمت على المنابر.

وفي سلخ رجب خرجت خاتون زوجة الخليفة إلى الري، وشيَّعها عميد الدولة ابن الوزير والخدم إلى النهروان.

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١٩٦٩) من حديث عائشة ﵂، والشاشي في مسنده (١٣٢٦) من حديث معاذ بن جبل ﵁.
(٢) الخبر في المنتظم ١٦/ ١٤٣-١٤٤.

وفي شعبان ورد كتاب [نظام الملك إلى الوزير ابن جَهير بوقعةٍ كانت بين](١) السلطان ملك شاه وعمه أبي الحارث قاروت بك بأعمال هَمَذان يوم الأربعاء سادس شعبان، وأُسِرَ قاروت بك وأولادُه سلطان شاه وغيرهُ.

ذكر السبب:

لمَّا توفي السلطان كان أخوه قاروت بك بكرمان سار إليها من عمان، فحمل على نفسه وخاطر بها، وركب في البحر في الشتاء، وخاف [من أن يسبقه إلى الري] وظَنَّ أنَّ العسكر تستأمن إليه، وعزم على نزوله على التركمان، وكانوا بين الري وهَمَذان، وكان معه عسكر يسير ألفا فارس وأربعة آلاف راجل، وبلغ السلطان ونظام الملك فأخذا من قلعة الري خمس مئة ألف دينار وخمسة آلاف ثوب وسلاحاً، وخرجا من الريِّ، فسبقاه إلى التركمان، وفرَّقا الأموال فيهم، ووصل قاروت بك بعدها بيومين، وقد فاته ما حسبه في التركمان، وكان مع ملك شاه عسكر كبير من التركمان والعرب والأكراد والغلمان، واقتتلوا، فحمل قاروت بك على الميمنة فطحنها، واستأمن أكثرُ أهلها إليه، ثم حمل على المسيرة فكسرها والسلطان والنظام في القلب، فحملا عليه، فاندقَّ هارباً، وأسر سلطان شاه إسحاق وأخويه وأولاد قاروت بك، فلمَّا كان من الغد جاء سواديٌّ فقال للسلطان: عمُّكَ في القرية الفلانية مع ولدٍ له، فابعث معي من يأخذه. فسار السلطان بنفسه، وقدَّم بين يديه جماعةً من خواصِّه، فأخذه ساوتكين، وحُمِلَ إلى خيمة وقُيِّد.

وقيل: إنهم لمَّا جاؤوا به ركب السلطان ووقف، وجيء به إليه ماشياً، فأومأ إلى الأرض، وقبَّل يد السلطان، فقال له: يا عم، كيف أنتَ من بَغْيِك؟! أما تستحيي من هذا الفعل؟ أنت ما قعدت لأخيك في عزاء، ولم تنفذ إلى قبره ثوباً تطرحه عليه، والغرباء قد حزنوا عليه، وأنت أخوه اطَّرحتَ وصيتَه، وأظهرتَ الشماتةَ [به]، والسرورَ بموته، لكن لقَّاكَ اللهُ سوءَ فعلك. فقال: واللهِ ما أردتُ قصدَك، ولكنَّ عسكرك(٢) كاتبوني ليلاً ونهاراً بالتعجيل، فجئتُ لأمرٍ قضاهُ الله تعالى وأرادهُ فيَّ.

---

(١) مابين حاصرتين هنا وفي المواضع الثلاثة الآتية من (ب).

(٢) في (خ): عشيرتك، والمثبت من (ب).

وحُمِلَ إلى هَمَذان مُقيَّداً؛ خوفاً لا يتمُّ في العسكر بسببه أمر، فلمَّا كان يوم الأربعاء ثالث شعبان قُتِلَ، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

ثم إن العسكر بسطوا ألسنتهم في نظام الملك، ومدُّوا أيديهم إلى الأعمال، فقال للسلطان: قد فسد الأمر، فإمَّا [أن] تُدبِّره أنت أو أنا. فقال: لا، بل أنت من غير أن أعترض[1] عليك. وحلف له، وخلع عليه خِلَع الملك، وأعطاه الخيل بمراكب الذهب، ودَواةً فيها ألف دينار، وعلماً على رأسه طلعةٌ فيها ألف دينار، ووقع له ببلدة طوس، ولقَّبه أتابك، ومعناه: الأمير الوالد، فشرع في تقرُّر الأمور، وظهر منه من الشجاعة والشهامة والصبر والمداراة والاحتمال ما لم يظنَّ به، حتى إنَّ المرأةَ الضعيفةَ كانت تقف له فيقف لها ويخاطبها، وجاءت امرأةٌ يوماً إلى حاجب له برقعة فلم يرفعها إليه، فقال له: إنما استخدمتُكَ لأجل الشيخ الضعيف، والمرأة الضعيفة اللَّذين لم يصِلا إليَّ، فإذا كنتَ لا توصلُ إليَّ أمرَهما فلا حاجة لي إليك.

وكان إذا خرج العسكر نادى مناديه: من أخذ علاقةَ تبنٍ أو بيضةً بغير ثمنها كان دمُه في مقابلها.

وفي يوم الجمعة مستهلَّ شعبان قتل أسدُ الدولة يلدِكز ناصرُ الدولة ابنَ حمدان وأخوتَه؛ فخر العرب، وتاج المعالي، ومحمود بن ذبيان أمير بني سِنْبس، والأمير شاور ابن أخي ابن المدبر كاتب ابن حمدان، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفي شعبان خلع السلطان على نظام الملك فَرَجيةً طميم، وعمامةً بُنيةً مُذْهَبة، وأعطاه علماً، ودَواةً، وعشرين ألف دينار، ومئةَ ثوب ديباج أطلس، وخيمةً كبيرةً، وقلعةً من قلاع خراسان مضافاً إلى طوس.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن الحسن

ابن عبد الودود بن المهتدي بالله، سمع الحديث، وكان فاضلاً صدوقاً ثقة، تُوفِّي ببغداد يوم الأربعاء رابع عشر شوال[2].

---

(١) في (خ): أتعرَّض، والمثبت من (ب).

(٢) المنتظم ١٦/١٤٧ .

obeikandi.com

[وفيها توفِّي

الحسن بن الحسين بن حمدان(١)

أبو محمد، الثعالبي، الأمير، ناصر الدولة، ذو المجدين، قد ذُكِرَ تنقُّلُ الزمانِ به، وآل أمره إلى أن اتفق مع يلدِكز التركي، وزوَّجه يلدِكْز ابنته، ولقَّبَ ابنُ حمدان نفسَه سلطان الجيوش، واتَّفقا اتفاقاً كلياً، وتحالفا، وأمِنَ أحدُهما إلى الآخر، ودخل ناصر الدولة إلى مصر، وكانا يتزاوران، فاتَّفق أنَّ ابنَ حمدان خرج يوماً إلى أعمال مصر على طمأنينة مرتباً للمراكب والعساكر، فركب يلدِكْز يوم الجمعة مُستهلَّ رمضان في خمسين فارساً، وكان له غلام يقال له: أبو منصور كُمْشتِكين، ويلقب حسام الدولة، وكان يثِقُ به، فقال له: أريد أن أُطلعك على أمر لم أرَ له أهلاً غيرك. قال: وما هو؟ قال: قد علمتَ ما فعل ابنُ حمدان بالمسلمين من سفك الدماء والغلاء والجلاء، وقد عزمتُ على قتله، فهل فيك موافقة ومشاركة وأريح الإسلام منه؟ فقال: نعم، ولكن أخاف أن يفلت فتتبرَّأ مني. قال: لا. وقصدوا ابنَ حمدان قبل أن يلحقه أصحابه، واستأذنوا عليه فأذِنَ لهم، فدخلوا والفرَّاشون ينفضون البسط ليقعد عليها وهو يتمشَّى في صحن الدار، ومشى يلدكز معه، ثم تأخَّر عنه وضربه بيافروت(٢) كان معه في خاصرته، وضربه كُمُشْتِكين فقطع رجليه، فصاح: فعلتموها. فحزُّوا رأسَه، وكان محمود بن ذبيان أمير بني سِنْبِس في خزانة الشراب، فدخلوا فقتلوه، ثم خرجوا(٣) إلى دار فيها فخر العرب بن حمدان قد شرب دواءً وعنده الأمير شاور، فقتلوهما وخرجوا إلى خيمة تاج المعالي بن حمدان أخي ناصر الدولة، وكان على عزم المسير إلى الصعيد، فهرب إلى خراب مقارب بخيمته فكمَن فيه، فرآه بعض العبيد فأعطاه معضدة فيها مئة دينار، وقال: اكتم عليَّ، فأخذها وجاء إلى يلدكز فنَمَّ عليه، فدخل فقتله، وانهزم ابنُ أخي [ابن](٤) المدبر في زي المكديين، فأخذ وكان قد تزوَّج إحدى بنات

(١) المنتظم ١٦/ ٢٤٩.

(٢) اليافروت: سكين مغربي. النجوم الزاهرة ٥/ ٢١.

(٣) في (ب): عرجوا.

(٤) مابين حاصرتين من (ب).

نزار ولد صاحب مصر، فقطع ذكره وتركه في فمه، ثم قتل وقطَّع ابنَ حمدان قِطَعاً، وأنفذ كلَّ قطعة إلى بلد من بلاد الشام وغيرها، وجاؤوا إلى القصر ومعهم الرؤوس، وراسلوا الخليفة، وقالوا: قد قتلنا عدوَّك وعدوَّنا، من أخرب البلاد، وقتل العباد، وهدم مجدك، ونريد الأموال. فقال: أما المال فما ترك ابنُ حمدان عندي مالاً، وأما ابنُ حمدان فما كان عدوِّي، وإنما كانت الشحناء بينك وبينه يا يلدكز، فملكت الدنيا بينكما، وإني ما اخترتُ ما فعلته من قتله ولا رضيتُه، وستعلم غِبَّ الغدر ونقض العهد.

ثم آل الأمر إلى أن باع المستنصر قطع مرجان وعروضاً، وحمل إليهم مالاً، ولم ينتطِحْ في ذلك غزالان[1]، وزالت أيامُ ابن حمدان، وانقضَتْ كأن لم تكن، وكان جواداً ممدَّحاً، مدحه أبو الفتيان محمد بن حيُّوس بقصائد منها: [من الكامل]

مــحــضُ الإبــاء وســؤددُ الآبــاءِ ... جَـعَـلاكَ مـنـفـرداً عـن الأكـفـاءِ
ولـقـد جـمـعـتَ حـمـيـةً وتـقـيـةً ... ثَـنَـتـا إلـيـكَ عِـنـانَ كـلِّ ثـنـاءِ
الـدهـرُ فـي أيـام عـزِّكَ لا انـقـضَـتْ ... مـتـعـوِّذٌ[2] مـن ظـلـمـةٍ بـضـيـاءِ
حُـطْـتَ الـرعـيـةَ بـالـرعـايـةِ رأفـةً ... فـاضَـتْ عـلـى الـقُـربـاءِ والـبُـعـداءِ
وشَـمَـلْـتَـهـا بـالـعدلِ إحـسـانـاً بـهـا ... فـجـزاكَ عـنـهـا الـلـهُ خـيـرَ جـزاءِ
وإذا مَـرَرْتَ عـلـى مـكـانٍ مُـجـدبٍ ... نـابَـتْ يـداك لـهُ عـنِ الأنـواءِ
كَـم أزمَـةٍ سـوداءَ عـزَّتْ إذ عَـرَتْ ... جَـلَّـيـتَـهـا بِـنَـدى يـدٍ بـيـضـاءِ
وكـتـيـبـةٍ شَـهـبـاءَ مِـن مـاذِيِّـهـا ... لاقـيـتَـهـا بـمَـنـيَّـةٍ دَهـمـاءِ
تلقى الفوارسُ مِنكَ في رَهجِ الوغى ... زيـدَ الـفـوارِسِ أو أبـا الـصـهـبـاءِ
إنَّ الأئـمَّـةَ بـاصـطـفـائِـكَ أُيِّـدوا ... بـمـوائـدِ الـرايـاتِ والآراءِ
وَجَدوكَ في حفظِ التُّراث وَجمعهِ ... أقـوى الـحُـمـاةِ وأوثَـقَ الأُمَـنـاءِ
مـازلـتَ إذ عـلَّـوا مَـكـانَـكَ مـازجـاً ... صِـدقَ الـولاءِ لَـهُـم بِـحُـسـنِ وَفـاءِ
لو كُنتَ قِدْماً سيفَهم لم يَسْتَثِرْ ... أبـنـاءُ هـنـدٍ مـن بـنـي الـزَّهـراءِ
أو كـنـتَ نـاصِـرَ حَـقِّـهـم فـيـمـا مـضـى ... مـا حـازَهُ ظُـلـمـاً بـنـو الـطُّـلَـقـاءِ

(١) في (ب): عنزان.

(٢) في (خ): متعوِّض، والمثبت من (ب).

ولآل حمدانَ الفخارُ بأسرِهِ | وأجلُّهُ لبني أبي الهيجاءِ
الفائضينَ على العُفاةِ نوالَهُمْ | والناهضينَ بناهضِ الأعباءِ
وعَلَوتُمُ حتَّى لَقالَ عدوُّكمْ | أَمُلوكُ أرضٍ أم نجومُ سماءِ
فلتفتخِرْ بكمُ ربيعةُ بل بنو | عدنانَ طُرًّا بل بنو حوَّاءِ
إنَّ المحامدَ في المحافلِ رتبةٌ | ما حُرِّمَتْ إلَّا على البخلاءِ
فتمَلَّ من وشيِ القريضِ مَلابِساً | طرَّزْتَها بجلالةٍ وعلاءِ
لو كان للعربِ القديمةِ مثلُها | لم تحمدِ المصنوعَ في صنعاءِ
إنِّي عقلتُ ركائبي ووسائلي | في حضرةٍ مسكونةِ الأفناءِ
مأهولةِ الأرجاءِ بالنِّعَمِ التي | ما كُدِّرَتْ بالمنِّ والإرجاءِ
شُفِعَتْ مواهبُها الجِسامُ بعزَّةٍ | كَفَلَتْ بإعدائي على أعدائي

عبد الصمد بن علي(١)

ابن محمد [بن الحسن بن](٢) الفضل بن المأمون، أبو الغنائم، الهاشمي، وُلِدَ ببغداد في جمادى الأولى سنة أربع وسبعين وثلاث مئة، وتُوفِّي في سابع عشر شوال، ودُفن بباب حرب، وكان صالحاً ثقة.

عبد الكريم بن هَوازِن(٣)

ابن عبد الملك بن طلحة بن محمد، أبو القاسم، القُشيري، وأمه سُلَمية، ولد سنة ست وسبعين وثلاث مئة في ربيع الأول، ومات أبوه وهو طفل، فنشأ وقرأ الأدب والعربية، وكان يميل على أبناء الدنيا، فدخل على أبي علي الدقاق، فأعجبه حالُه، فصحبه، فجذبه عن ذلك، وتفقَّه على بكر بن محمد الطُّوسي، وأخذ علم الكلام عن ابن فُورك، وصنف «التفسير الكبير» و«الرسالة»، وكان يحبُّ الصوفية وأهل الدين

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٤٩ .

(٢) ما بين حاصرتين من المنتظم، وتاريخ الإسلام ١٠/ ٢١٦ وغيرهما.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٨٣ ، ودمية القصر ٢/ ٩٩٣-٩٩٨ ، وتبيين كذب المفتري ص٢٧١-٢٧٢، والمنتظم ١٦/ ١٤٨-١٤٩ . وينظر السير ١٨/ ٢٢٧. قلت: وتحرف اسم جده في (خ) إلى: عبد الصمد.

والطريقة، عظيماً عند أهل نيسابور، يعِظُ ويتكلَّم بكلام الصوفية، وخرج إلى الحج، وقدم بغداد، وكانت وفاته في رجب - وقيل: في ربيع الآخر - بنيسابور، ودُفن بالمدرسة إلى جانب شيخه أبي علي الدقاق، وصلَّى عليه أكبر أولاده عبدالله، ولم يقرب أحدٌ من أولادِه وأهلِه الزاويةَ التي كان يجلس عليها ويصنِّف ويتعبَّد بعد موته؛ احتراماً وتعظيماً له، وكان قد أهدى له بعضُ أصحابه فرساً فركبه عشرين سنة لم يركب غيره، فلمَّا مات أقام الفرسُ أسبوعاً لا يأكل ولا يشرب حتى مات، فكان بينه وبين وفاته ستة أيام، ومن شعره: [من البسيط]

الدهرُ ساومني عمري فقلتُ لهُ ... لا يعب عمري بالدنيا وما فيها
ثم اشتراه تفاريقاً بلا ثمنٍ ... تَبَّتْ يدا صفقةٍ قد خاب شاريها

وكان ثقةً، حسنَ الوعظ، مليحَ الإشارة، يعرف الأصولَ على مذهب الأشعري، والفروعَ على مذهب الشافعي رضي الله عنه.

ولمَّا قدم بغداد عقد مجلس التذكير، فروى عن النبي ﷺ: «السفر قطعة من العذاب»[1] الحديث. فقام إليه سائلٌ فقال: لِمَ سمَّاه النبيُّ ﷺ قطعةً من العذاب؟ فأجاب بديهاً: لأنه سببٌ لفراق الأحباب. فصاح الناس وماجوا، ولم يقدر على إتمام المجلس، فنزل.

وجلس بنيسابور ليلةَ نصف شعبان، فقرأ القارئ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] فقال: نعم، وعندنا مفاتح الغيب.

ومن شعره: [من البسيط]

قالوا تَهنَّ بيومِ العيدِ قلتُ لَهُمْ ... لي كلَّ يومٍ بِلُقيا سيِّدي عيدُ
الوقتُ روحٌ وعيدٌ إن شهدْتُهُمُ ... وإن فقدتُهُمُ نَوحٌ وتعديدُ

وقال أيضاً: [من السريع]

إنْ نابَكَ الدهرُ بمكروهِهِ ... فقُل بتهوينِ تخاويفِهِ
فعَنْ قريبٍ ينجلي غمُّهُ ... وتنقضي كلُّ تصاريفِهِ

(١) أخرجه البخاري (١٨٠٤)، ومسلم (١٩٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكان للقشيريِّ[١] من الولد: عبد الله، وعبد الواحد، وعبد الرحمن، وعبد الرحيم، وعبيد الله، وعبد المنعم، أثنى عليهم ابنُ السمعاني[٢]، ووصفهم بالعلم والحديث وصحبة المشايخ.

علي بن الحسين[٣]

ابن علي بن الفضل، أبو منصور، الكاتب، الشاعر، فمن شعره: [من المتقارب]

تُـفـيـضُ نـفـوسٌ بـأوصـابِـهـا ... وتـكـتُـمُ عُـوَّادَهـا مـا بـهـا
[ومـا أنْـصَـفَـتْ مـهـجـةٌ تـشـتـكـي ... هـواهـا إلـى غـيـر أحـبـابِـهـا][٤]
وكـم نـاحـلٍ بـيـن تـلـك الـخـيـا ... م تـحـسِـبُـه بـعـضَ أطـنـابِـهـا

وقال: [من الخفيف]

الـنَّـجـاءَ الـنَّـجـاءَ مـن أرضِ نـجـدِ ... قـبـلَ أن يـعـلـقَ الـغـرامُ بـوجـدِ
كـم خـلـيٍّ غـدا إلـيـهـا وأمـسـى ... وهـو يـهـوى بـعـلـوةٍ وبـهـنـدِ

وقال: [من البسيط]

أُكـلِّـفُ الـقـلـبَ أن يـهـوى وأُلـزِمُـهُ ... صـبـراً وذلـك جـمـعٌ بـيـن أضـدادِ
وأكـتـمُ الـرَّكـبَ أوطـاري وأسـألُـهُ ... حـاجـاتِ نـفـسـي لـقـد أتـعـبـتُ رُوَّادي
هـل مـدلـجٌ عـنـدهُ مـن مُـبـكـرٍ خـبـرٌ ... وكـيـفَ يـعـلـمُ حـالَ الـرائـحِ الـغـادي
فـإن رويـتُ أحـاديـثَ الـذيـن مـضَـوا ... فـعـن نـسـيـمِ الـصَّـبـا والـبـرقِ إسـنـادي

وقال أيضاً: [من البسيط]

إيـهٍ أحـاديـثُ نـعـمـانٍ وسـاكِـنُـهُ ... إنَّ الـحـديـثَ عـن الأحـبـابِ أسـمـارُ
أُفـتِّـشُ الـريـحَ عـنـكـمْ كُـلَّـمـا نـفـحَـتْ ... مـن نـحـو أرضـكـم نـكـبـاءُ مـعـطـارُ

وقال: [من الكامل]

---

(١) تحرفت في النسخ إلى: المعبري.
(٢) الأنساب ١٠/١٥٦ .
(٣) المنتظم ١٦/ ١٤٩-١٥١ .
(٤) مابين حاصرتين من (ب).

مـا مـرَّ ذو شـجَـنٍ يُـكـتِّـمِـهُ إلَّا أقـول مـتـيَّـمٌ مـثـلـي
وعـهـودُهُـم بـالـرَّمـلِ قـد نُـقـضَـتْ وكـذاك مـا يُـبـنـى عـلـى الـرَّمـلِ
مَـنْ يـطَّـلِـعْ شـرفاً فـيُـطـلـعُـنـي هـل روَّحَ الـرُّعـيـانُ بـالإبـلِ
أم قـعـقـعـت عَـمَـدُ الـخـيـامِ أم ارْ تَـفَـعَـتْ قِـبـابُـهـمُ عـلـى الـبُـزْلِ(١)
أم غـرَّد الـحـادي بـقـافـيـةٍ مـنـهـا غـرابُ الـبَـيْـنِ يـسـتـمـلـي

وكانت وفاته في صفر، ركب دابته فتردَّى في بئر فمات هو والدابة، وكان عاقلاً ثقة.

قاروت بك بن داود

ابن ميكائيل أخو ألب أرسلان.

قد ذكرنا أخباره مفرَّقةً، فإن ملك شاه أسره وحمله إلى هَمَذان.

قال محمد بن الصابئ: لمَّا حُمِلَ إلى هَمَذان جُعِلَ في خركاه، ودخل عليه الحداد وهو يصلِّي، ففرغ من صلاته، ومدَّ رجليه، فقيَّده، فقال بعض الحاضرين: سبحان الله، لقد ملك هذا الرجل ملكاً عظيماً؛ كرمان ثم عمان ثم فارس، وكان يتمنَّى هلاكَ أخيه، ويتصوَّر ملك الدنيا بعدَه، وكان هلاكُه مقروناً بهلاكه، وكذاك قُتُلْمِش مع عمه طُغْرُلْبَك فإنه كان ينظر في النجوم، ويُحقِّق القطع الذي مات عمُّه فيه في الوقت، وتصوَّر أنه يملك من بعدِه، فكان هلاكُه مقروناً بهلاكه، وركب السلطان يوم الأربعاء ثالث شعبان إلى هَمَذان، وتقدَّم إلى سعد الدولة الكوهراني بالإشراف على قتله، وتولَّى خَنْقَه رجلٌ أعورُ أرمنيٌّ من أصاغر الحواشي بوتر القوس، بعد أن بذل التوبة من النظر في ملك، وتسليم أموالِه وبلادِه وقلاعِه، والرضا بالمقام في مسجد، والاعتقال والإبقاء على نفسه، ثم جمع ملك شاه أولاده وصهره ابن إبراهيم ينَّال، ثم كحلوا بين يدي ملك شاه، وقدم ولدُه سلطان شاه إسحاق أولاً وهو أكبرهم وأنجبُهم، وهو حين بَقَل وجهُه(٢)، فأخذ أخوتَه الصغار واحداً واحداً، وجعل يضمُّه إليه ويُقبِّله ويقول: هذا قضاءُ الله تعالى، فلا تجزعوا، فإنَّ الموتَ يأتي على جميع الناس. وكحل

---

(١) البُزْل: الجمال والنُّوق. المعجم الوسيط (بزل).
(٢) بقَلَ وجهُه: نبتت لحيتُه. اللسان (بقل).

وكحلوا، وملك شاه حاضر، ومات منهم اثنان، وبقي سلطان شاه [وابن كازشاه][1] ثم تتبع الباقين فكحلهم.

وقد ذُكِرَ في مقتله وجهٌ آخر: قيل: لمَّا عرف ملك شاه مكان عمه قاروت بك سار يطلبه، وبعث في طلبه مَنْ يحضره، فلمَّا لاح القوم نزل ملك شاه على تلٍّ واستدعى مَأكولاً، وأحضر مسلمَ بن قريش وابنَ مَزْيَد وابن وَرَّام وأكلوا، وركب ملك شاه، وجاؤوا بعمِّه فأُنزِلَ عن الفرس، وأُخذت قَلنسوة من رأسه، وقيل له: قَبِّلِ الأرض، فلم يفعل، وتقدَّم السلطانُ إليه وعانقه من ظهر الفرس، وقال له: يا عمّ، قد سِرْتَ من مكان بعيد، فاركَبْ وسِرْ معنا. وسار ملك شاه وسلَّمه إلى ساوتكين، وجاء به فأنزله في خيمته، وبعث قاروت بك إلى ملك شاه يقول: لا تقلع هذا البيت بقتلي، وتسمع من الكتاب في أمري. يعني نظام الملك، وافعل معي ما يليق بالأتراك، وأنا أُعطيك مثل ما خرج عن يدك منذ مات أبوك، وأنا أمضي إلى الشام أو الحجاز وأسلم إليك جميعَ بلادي. فلم يلتفِتْ، وحُمِلَ في الليل إلى هَمَذان يوم الخميس المذكور على حمل تبن، واعتُقِلَ في دار أبي هاشم الجعفري، وبعد أيام جاء ملك شاه إلى الدار فجلس وبعث إليه أحد القفجاقية ـ ويُعرف ببغرسلان ـ فلمَّا رآه عرف ما جاء به، فسأله التوقُّف، ثم قام فصلَّى أربع ركعات، وتقدَّم إليه ليطرح وتر القوس في حلقه ويخنقه، فدافعه ساعةً، ثم قوي عليه فخنقه، وحُمِلَ في الليل فدُفن عند إبراهيم ينَّال، وكحل أولاده ـ وكانوا خمسة ـ وكلُّ ذلك بتدبير نظام الملك وإشارته، ولمَّا علمتِ العساكرُ بذلك شغبوا ولعنوا نظام الملك في وجهه، ولعنوا ملك شاه، وانعزلوا عنه ناحيةً وقالوا: ما هكذا أوصى ألب أرسلان، وكان قد أوصى لقاروت بك بكرمان وفارس، وعيَّن له مالاً، وأن يُزوَّج بخاتون الشقيرية، وكان أكثر العساكر مائلاً إلى قاروت بك، ومدُّوا أيديهم إلى البلاد، ونزعوا الطاعة، وخاف ملك شاه فانعزل عنهم، فقال له نظام الملك: إمَّا أن تدبِّر الأحوال أنت أو أنا؟ فقال: بل أنت. فاستمالهم بالمال والإقطاع، فسكنوا وفي القلوب ما فيها.

---

(١) مابين حاصرتين من (ب).

محمد بن أحمد[1]

ابن محمد بن عمر بن الحسن بن عبيد بن عمرو بن خالد بن الرُّفَيل، أبو جعفر، ابن المُسْلِمة، القرشي، ولد سنة خمس وسبعين وثلاث مئة، وسمع الكثير، وكانت وفاته ليلة السبت سابع جمادى الأولى، وصُلِّي عليه بجامع الرُّصافة، ودفن بمقابر الخيزران، وكان يوماً مشهوداً.

وقال محمد بن طاهر: جاءه بعض طلبة الحديث وهو محموم ومعه جزء ليقرأه عليه، قال: اذهب، فإذا عُوفيتَ فتعالَ واقرأ. فقال: أيها الشيخ إذاً أموتُ ولا أسمعه عليك. فقال له الشيخ: بل يُخشى أن يتطاول بك المرض، فإذا بَرِئتَ كنتُ أنا قد متُّ. فكان كما قال، وأسمعه الجزء.

وكان صحيحَ السماع، واسعَ الرواية، نبيلاً ثقةً صالحاً.

محمد بن أحمد[2]

ابن محمد، أبو البركات، البغدادي، ويُعرف بابن قَفَرْجَل، البزاز، كان كثيرَ الصدقات والعطايا، واسعَ المال، خلَّف عشرين ألف دينار، وكانت وفاته يوم الجمعة ثالث جمادى الآخرة، ودُفن قريباً من معروف الكَرْخي رحمة الله عليه، وكان ثقة.

محمد بن داود

ابن ميكائيل بن سلجوق، ألب أرسلان لقبٌ له. قد ذكرنا سيرته، ونذكر الآن سبب قتله؛ قال أرباب السير: في ربيع الأول أرجف بقتل السلطان، فنودي في حريم دار الخلافة بالتوعُّد لمن يُرجف بذلك، ثم قويت الأخبار بصحته، وكان شمس الملك تِكين بن طغان صاحب سمرقند وبخارى وما وراء النهر قد تزوَّج أخت السلطان، ثم قيل: إنه قتلها؛ لأنها أطمعَتْ أخاها في البلاد، ثم إن السلطان تزوَّج أخت شمس

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٨٦، والمنتظم ١٦/ ١٥١-١٥٢ .

(٢) تاريخ دمشق ٥١/ ١٤٦- ١٤٧ .

الملك، وكان إلياس وملك شاه قد عبرا إلى تِكين ليقاتلوه، فنُصر عليهم ونهبهم، وكان في جملة النهب طَستٌ من ذهب مُرصَّع، ولما عاد إلياس وملك شاه وقطعا جيحون إلى ناحية خراسان وقال تِكين لأخت السلطان: أنتِ أطمعتيهم في العبور، فيقال: إنه رفسها فماتت، وبلغ ألب أرسلان فقصده وبعث وحلف أنه ما فعل، ثم زوَّجه تِكين أختَه، ولمَّا عاد من كسرة ملك الروم دخل بها ومال إليها ووجد ذلك الطَّست الذهب نهب من ملك شاه في الجهاز، فقال في نفسه: ما أنفذ هذا الطَّست إلا تقريعاً لي، وإذكاراً بكسرة ولدي، ثم عزم على العبور إليه، فجمع العساكر العظيمة، ويقال: إنه عبر في مئتي ألف فارس وراجل، وعمل جسراً عظيماً في الزوارق، وعبر في أربعة وعشرين يوماً، وذلك في صفر، واستباح عسكرُه الحريم، ونَهبت مُقدَّمته سواد بخارى، ومرَّت مُقدَّمتُه بقلعة يقال لها: نيرون، وبها رجلٌ خُوارَزمي ـ اسمه يوسف ـ فحاصروه، ثم استنزلوه، وحُمِلَ بين غلامين تركيين، كلٌّ واحد منهما قد أخذ بيده إلى بين يدي السلطان، فلمَّا رآه شتمه ووافقه على أفعال قبيحة كانت منه، وتقدم إلى باب يضرب له أربعةُ أوتاد وتُشدُّ أطرافُه إليها قِتلةً يعرفونها، فقال له يوسف: مُخنَّثٌ مثلي يُقتل هذه القِتْلة. فاحتدَّ السلطان، وأخذ القوس والنُّشَّاب، وقال للغلامين: خَلِّيا عنه. فخلَّياه، ورماه بسهم فأخطأه، ولم يُخطئ له سهم قبلَه، وعدا يوسف عليه فضربه بسكين كانت معه في خاصرته، ووقع سعد الدولة الكوهراني على وجهه، وبرك يوسف عليه فضربه بسكين كانت معه. وقيل: إنه كان واقفاً، فجرحه يوسف جراحاتٍ ما أثَّرت فيه، ونهض السلطان إلى خيمة أخرى، ولَحِقَ يوسفَ فرَّاشٌ أرمنيٌّ، فضرب رأسَه بالمَرْزُبة فقتله، وقُطِّعَ قِطَعاً، وتقدم بإحضار قلبه ومرارته، فأُحضِرا، فكانا عظيمين، وشُدَّت الجراحة، وعاد إلى جيحون، فتُوفِّي يوم السبت عاشر ربيع الأول بعد أن أوصى في العسكر بملك شاه وبنظام الملك وطاعته، وأن يعطي إلياس ولدَه ما كان لداود والده وخمس مئة ألف دينار، وللأمير قاروت بك أعمال فارس وشيراز ومالاً عيَّنه، وأن يزوَّج بخاتون الشقيرية زوجته، وتكون القلعة وما فيها والأعمال الجبلية والفراتية وما كان بيد طُغْرُلْبَك عمه لملك شاه، فمن رضي أقرَّ على ذلك، وإلا قوتل.

وقال ابن القلانسي: في هذه السنة وردت الأخبار باستشهاد السلطان ألب أرسلان بنهر جيحون بيد من اغتاله من الباطنية المتزيين بزي الزُّهَّاد والمتصوفة، وليس كما ذكر ابن القلانسي، والمشهور ما ذكرنا، وكُتمت وفاتُه حتى عبروا جيحون في ثلاثة أيام، ثم جلس ملك شاه على السرير، وخلع عليه الخِلَع التي بعث بها إليه الخليفة مع عميد الدولة ابن جَهير إلى أصفهان، فقال له نظام الملك: أيها السلطان، تكلَّم ـ وعلى رأسه الأمراء ـ فقال: الأكبرُ منكم أبي، والأوسطُ أخي، والأصغرُ ولدي. ووعدهم الجميل، فدَعَوا له وأطاعوه، وأنفق فيهم سبع مئة ألف دينار برأي نظام الملك، وساروا إلى مرو، ودفن السلطان بها إلى جانب والده، وأقام ابنه إلياس ببَلْخ ولم يجتمع بهم.

وقال نظام الملك: لمَّا قطعنا النهر رأى السلطان في المنام كأنَّ إنساناً جرحه في خاصرته وضربه بسكين، فأصبح يتألَّم من المكان، فكانت الجراحة فيه من الغد.

وقال سعد الدولة الكوهراني: لمَّا أيِس السلطانُ من نفسه قال: ما من وجهٍ قصدْتُه أو عدوٍّ أردْتُه إلا كنتُ مستعيناً عليه بالله، قويَّ النفس بنصره وعونه، إلَّا هذا الوجه، فإني شُغِلتُ بجمع العساكر، وشاهدتُ منها ما قَوِيَتْ به نفسي، ووقع تعويلي عليه، ولا أتصوَّر أنَّ أحداً يقف بين يديَّ، ولقد ركبتُ أولَ أمس، ووقعتُ على تلٍّ، فأحسستُ بالأرض ترتجُّ من تحتي لعِظَم العسكر، وقلت في نفسي: مافي الدنيا سلطانٌ مثلي، ولا اجتمع لأحد ما اجتمع لي، وتخيَّلتُ أني آخذٌ ابنَ طبغاج وبلادَه وجميعَ ما وراء النهر، ولم يخطر لي ربي ببال، فلحقني ما لحقني من الجواب.

وقال ابن الصابئ: وكان لمَّا عبر النهر وبَلَغَ أهلَ بخارى عبورُه، وتقدَّمت سراياه، فاجتاحت الأعمال، ونهبت الأموال، واستباحت الحريم، وهربوا إلى سمرقند، واجتمع الصالحون والزُّهَّاد والعلماء والوُعَّاظ في الجامع وخلقٌ كثير، وصاموا وصلُّوا أياماً، وفيهم من لم يفطر ليلاً، وأخذوا في الابتهال إلى الله تعالى، والشكوى من السلطان والدعاء عليه، والتعجيل لدفعه عنهم، فكان من أمره ما كان، فكان ملكه ثمان

عشرة سنة، منها بعد موت عمِّه طُغْرُلْبَك إحدى عشرة سنة، ولم يقدم بغداد، وجلس الوزير فخر الدولة ابن جَهير للعزاء في صحن السلام يوم الأحد ثامن جمادى الأولى، وخرج في يوم الثلاثاء الثالث توقيعُ الخليفة يتضمَّن الجزع على ألب أرسلان، ويشكره على خدمتِه وسعيِه في مصالح المسلمين، وجهادِه في سبيل الله، وكسرِه الروم، وأمنِه الطرقات، وضبطِه العساكر، وعدَّد أفعالَه الجميلة، وغُلِّقت أسواق بغداد، وأقامت خاتون العزاء في دار الخليفة، وجزَّت شعورَ جواريها وأرادت حينئذ جزَّ شعورِها، فمنعها الخليفة، وجلست على التراب، ثم أقامها الخليفة من العزاء بعد سبعة أيام.

محمد بن علي(١)

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله، أبو الحسين، الهاشمي، ويُعرف بابن الغَريق، ولد يوم الثلاثاء غرة ذي القعدة سنة سبعين وثلاث مئة، وسمع الحديث، وقرأ القرآن، وكان حسنَ الصوت به، وخطب الناس، وله من العمر ست عشرة سنة، وولي القضاء سنة تسع وأربع مئة، وأقام يخطب بجامعي المنصور والمهتدي ستاً وسبعين سنة، وشهد ستين سنة وقضى ستاً وخمسين سنة، وتُوفِّي يوم الأربعاء سلخ ذي القعدة، ودُفِنَ يوم الخميس غرَّة ذي الحجة عند جامع المنصور ناحية القبة الخضراء، وقد جاوز التسعين، وشهده خلق عظيم.

وقال أبو بكر ابن الحاضنة: رأيتُ في المنام كأنَّ القيامة قد قامت، وقد أُدخلتُ الجنة، وإذا ببغلة مُسرجةٍ ملجمةٍ في يد غلام، فقلت: لمن هذه؟ قال: للشريف أبي الحسين بن الغريق. فلمَّا أصبحنا، وإذا به قد مات في تلك الليلة.

ورؤي الشريف في المنام فقيل له: ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال: غفر لي بطول تهجُّدي. وكان ثقةً، صالحاً، صائماً، قائماً، عابداً، مجتهداً، خاشعاً، كثيرَ البكاء عند الذِّكر، رقيقَ القلب، عزيزَ العقل والفضل، زاهداً، وكان يُسمى زاهد بني هاشم، ورحل الناس إليه لعلوِّ إسناده، فكانوا يقصدونه من البلاد، وكان قد أصابه صممٌ في آخر عمره، فكان هو يقرأ على الناس، وذهبت إحدى عينيه رحمه الله.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ١٠٨-١٠٩، والمنتظم ١٦/ ١٥٢-١٥٣. وينظر السير ١٨/ ٢٤١.